المحاضرة: السادسة (6)

مدخل إلى العقيدة الإسلامية1:

مقدمة:

تتردد كلمة العقيدة على ألسنة وفي محاوراتهم ومحادثاتهم كثيرا، فتراهم يقولون: "أنا أعتقد كذا، وفلان عقيدته حسنة، والعقيدة الإسلامية هي السبب الأقوى في انتصار المسلمين في كل زمان ومكان، والحرب بيننا وبين اليهود حرب عقدية في حقيقتها (..)". فماذا يريد الناس من كلمة: (عقيدة)؟ وما معناها في اللغة والاصطلاح والشرع؟

تعريف العقيدة:

مادة ***عقد في اللغة*** مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق، واعتقد الشيء: اشتدّ وصلُب. عقد الحبل: شدّ بعضه ببعض، وهو نقيض حله. قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 91]. وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه، بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان دون قصد. والعقود أوثق العهود، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

والعقائد في الاصطلاح: "هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"[18]. والعقيدة في الشرع: ما يعمله الشخص، ويعتقده بقلبه، من أمور الدين. والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام من العبادات والمعاملات. وحقيقة العقيدة ليست أمورا عملية، بل أمورا علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأن الله أخبره بها بطريق، وأما علم العقيدة: فهو العلم الذي يبحث في المسائل الإيمانية، المتعلقة بالله عز وجل، وبأسمائه وصفاته وبأركان الإيمان المعروفة.

أسماء علم العقيدة:

ويطلق علم العقائد -أيضا- على: "علم أصول الدّين لأن غيره ينبني عليه، وعلم التوحيد لأن أعظم مسائله مسألة توحيد الله -عز وجل- في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وعبادته، والإيمان حيث

[18]- مجموع الرسائل، حسن البنا، ص429.

أجاب الرسول ﷺ جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان بذكر الأصول الستة له، وعلم الكلام لأن هناك صفة وقع فيها جدل ونقاش طويل في القرنين 3/2هـ، وهي صفة كلام الله U، هل يتكلم أو لا يتكلم؟ المعتزلة يقولون: "الله خلق القرآن خلقا"، في حين أن اعتقاد السنة أن صفة كلام الله ألفاظ ومعانٍ بحرف وصوت يُسْمَع. وكذا الفقه الأكبر، وعلم الأسماء والصفات.

مقاصد العقيدة وثمراتها:

تحصيل محبة الله U بمعرفة صفاته، وتحصيل محبة الرسل –عليهم السلام– بمعرفة ما يجب لهم وما يتصفون به، وزيادة الإيمان بتفصيل مسائل هذا العلم مثل: مسألة القدر وغيرها، ردّ الشبهات التي تثار للتشكيك في عقيدة المسلمين، سواء كانت من النفس أو الشيطان أو أعداء الدين.

تاريخ علم العقيدة:

لا شك أن مصدر العقيدة الأول ومنشأها بدأ بأبي البشرية نبي الله آدم عليه السلام ، وقد أوحى له الله بذلك، وعلمه الأسماء كلها، فأصل العقيدة رباني، وكلما طال الأمد على الناس نسوا أو تناسوا وانحرفوا عن العقيدة الصحيحة، كان الله عز وجل يرسل الرسل المجددين لعقيدة التوحيد وأسس الإيمان، ولكن ما نقصده ههنا أول مؤلفات في العقيدة، ومن أسهم في تأليفها، هذا العلم الذي تأخر ظهوره على القرن الثاني الهجري، إذْ شكَّلت المشكلات السياسية والاجتماعية والتحديات الدينية والفلسفية دافعاً رئيسياً لعلماء المسلمين لتنظير علم العقيدة والدفاع عنه.

وقد واجهت العقيدة الإسلامية تحديات من الفلسفات القديمة والفرق المختلفة، مما استدعى وضع قواعد ومبادئ واضحة لحمايتها. ولم يظهر هذا العلم مؤلفا إلا في القرن الثاني الهجري، وقد زعموا أن *أبا حنيفة النعمان* بن ثابت (ت150هـ)، أول من ألف فيه بكتابه: الفقه الأكبر، وهناك من شكك في نسبة هذا المؤلف لأبي حنيفة. وقيل بل *أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل (ت325هـ)*، فالثابت أن له كتابات في العقيدة منها: مقالات الإسلاميين، واللمع في الاعتقاد، وكتاب الإبانة في أصول الديانة. ثم توالت المؤلفات بعد ذلك ومن اشهر ما ألق في العقيدة: العقيدة الطاحوية لأبي جعفر الطحاوي (ت321هـ)، والعقيدة الواسطية لابن تيمية.

المحاضرة: السابعة (7)

مدخل إلى العقيدة الإسلامية2

خصائص العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية تتميز بخصائص متعددة منها الوضوح، الثبات، الشمول، الوسطية، والتوقيفية .هذه الخصائص تجعلها عقيدة واضحة ومنهجية تتسم بالثبات وديمومتها، وهي كذلك شاملة لجميع جوانب حياة الفرد والمجتمع، ومتوازنة لا تفريط فيها ولا إفراط، ومستمدة من مصدر إلهي لا يخضع للتغيير البشري.

عقيدة واضحة لا غموض فيها، فهي توضح أن لله وحده الحق في العبادة، وهو أمر يناسب العقل السليم. وتتميز بالعقل الدائم لأن مصادرها، الكتاب والسنة، ثابتة ومحفوظة من التحريف أو التبديل، مما يضمن ثباتها عبر الأجيال. تشمل جميع جوانب حياة المسلم، في قلبه وعاطفته وعقله، وفي شؤون حياته الفردية والأسرية والاجتماعية والعالمية.

وهي وسط بين الإفراط والتفريط، فلا تغالي في جانب على حساب الآخر، وتهدف إلى تحقيق التوازن في حياة الإنسان. وتوقيفية أصولها مستمدة من (الكتاب والسنة) ولا تقبل الزيادة أو النقصان أو التغيير البشري، لأنها غيبية في أصولها وتفاصيلها. وخالية من التناقضات أو الاضطرابات التي قد توجد في العقائد الأخرى، فهي سليمة في نصوصها وقضاياها.

مصدرها من الله تعالى وغايتها رضاه، مما يعطيها أصالة ومصدر قوة لا مثيل له. تتوافق مع فطرة الإنسان التي خلقها الله على الإقرار بوجوده والإقرار بوجود الخالق العظيم. تؤثر في سلوك الفرد وأخلاقه ومعاملاته، وتمنحه الثقة بالنفس، وتزرع فيه محبة الخير، وتبعث فيه النشاط والحيوية. كفيلة بحل جميع المشكلات التي تواجه الفرد والمجتمع، سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية.

مصادر العقيدة الإسلامية:

مصدر تلقي العقيدة هو كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ يجب التمسك والاعتصام بهما، وقد تكفل الله لمن اتبعهما بأن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي

هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى - وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى - قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا - قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: 123 - 126].

وامتن سبحانه على هذه الأمة بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فقال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2] (الجمعة الآية: 2).

ثم الاستعانة **بآثار صحابة رسول الله** ﷺ وهم أهل السبق والفضل، **وأقوال التابعين** لهم بإحسان، وما عرف من لغة العرب، ويوكلون ما لم يعلموه إلى عالِمه. ثم **العقل البشري** (يستخدم العقل كأداة للفهم والاستدلال في مسائل العقيدة، ولكن ضمن ضوابط وحدود، ولا يستقل في معرفة الغيبيات)،

وعلم الجدل: (وهو: فنّ محاورة أو منازعة الكلام بين طرفين، يهدف كل منهما إلى إثبات وجهة نظره وإبطال حجة الآخر، مستخدمًا قواعد الاستدلال وآدابه، ويُعرف –أيضاً– بأنه علم يُمكّن من حفظ رأي وهدم رأي آخر، سواء كان ذلك في الفقه أو أي مجال آخر، وذلك عن طريق استخدام الحجج العقلية والنقلية).

وعلم المنطق: (هو دراسة مبادئ الاستدلال الصحيح، ويُعرَّف تقليديًا بأنه علم قوانين التفكير الصحيح، ويهدف إلى تمييز الاستدلال السليم من الفاسد. يُعنى المنطق بتقييم الحجج، وهي مجموعة من المقدمات التي تُؤدي إلى نتيجة. يمكن اعتبار المنطق بمثابة "ميزان" أو "آلة" للعلوم الأخرى لتحصيل المعرفة بشكل صحيح ومنظم). **الفطرة:** وهي الخِلقة السليمة في الإنسان التي يميل بها إلى معرفة الخالق، وتُعد مصدرًا للمعرفة العقدية.

أهمية العقيدة الإسلامية:

علم العقيدة هو أشرف العلوم وأعظمها وأعلاها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومنزلة العلم تقدّر بحاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة. وحاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه. وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيما واتباعا لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديرا للدار الآخرة.

وإذا انطبعت في نفس العبد هذه المعاني الشريفة من العلم بالله وتوحيده ومحبته وخشيته وتعظيم أمره ونهيه، والتصديق بوعده ووعيده، سعد في الدنيا والآخرة، وسعد مجتمعه به، ذلك أن صلاح سلوك الفرد تابع لصلاح عقيدته وسلامة أفكاره، وفساد سلوك الفرد تابع لفساد عقيدته وانحرافها.

والعقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، ومن دونها يضيع الإنسان ويفقد ذاته ووجوده؛ والعقيدة الإسلامية هي وحدها التي تجيب عن التساؤلات التي شغلت ولا زالت تشغل الفكر الإنساني: من أين جئت؟ ومن اين جاء هذا الكون؟ ومن الموجد؟ ولماذا اوجدنا وأوجد هذا الكون؟ وما دورنا في الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟ وهل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ وكيف ستكون؟

لا توجد عقيدة، يمكنها الإجابة عن تلك التساؤلات، إجابة صادقة مقنعة، سوى العقيدة الإسلامية. وكل من اعتنق عقيدةَ غيرِ المسلمين، فإن حاله لن يختلف عن حال هذا الشاعر الحائر البائس (**إيليا أبو ماضي**)، حيث يقول:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَينَ وَلكِنّي أَتَيتُ
وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ
وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هذا أَم أَبَيتُ
كَيْفَ جِئتُ؟ كَيْفَ أَبصَرتُ طَريقي؟
لَستُ أَدري

أَجَديدٌ أَم قَديمٌ أَنا في هذا الوُجود؟
هَل أَنا حُرٌّ طَليقٌ أَم أَسيرٌ في قُيود؟
هَل أَنا قائِدُ نَفسي في حَياتي أَم مَقود؟
أَتَمَنّى أَنَّني أَدري، ولكِن **لَستُ أَدري**

أَ وَرَاءَ القَبرِ بَعدَ المَوتِ بَعثٌ وَنُشورُ؟
فَحَياةٌ فَخُلودٌ أَم فَناءٌ وَدُثورُ؟
أَكَلامُ الناسِ صِدقٌ أَم كَلامُ الناسِ زورُ؟
أَصَحيحٌ أَنَّ بَعضَ الناسِ يَدري؟

لَستُ أَدري

أين أمثال هذا الشاعر الحائر التائه، من المسلم الذي يدري، ويعرف معرفة مستيقنة كل هذه الحقائق، فيجد برد اليقين، وهدوء البال، ويسير في طريق مستقيم، إلى غاية مرسومة يعرف معالمها، ويدرك غايتها. ولذلك زعموا أن أشرف العلوم الشرعية علم العقيدة، حتى قال المقري:

وأفضل العلوم بالإطلاق ... علمٌ به معرفةُ الخلَّاقِ